العزة

مصادرها ـ أسبابها ـ مواقف وأحداث

تأليف

د . محمد بن عبدالله الهبدان

المشرف العام على مؤسسة نور الإسلام

مؤسسة نور الإسلام

www.islamlight.net

تنبيه : الرسالة من مطبوعات دار الوطن

المقدمة

الحمد لله الذي لا ينال عز عظمته سانح تمثيل ، ولا يدرك قعر عزته سابح تخييل ، متنزه عن الشبيه والمثيل ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، والصلاة والسلام على القائل : " بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري "

وعلى أصحابه الأفاضل الذين قالوا : (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى حين تعرض الأعمال .

أما بعد

فما أحوج الأمة اليوم إلى من يعيد لها تاريخها المجيد ، وعزها السليب ، ذاك المجد الذي استمر قروناً طويلة ، وأزمنة مديدة ، ولكن يا حسرة على العباد انحرفت الأمة عن الجادة ، وضلت طريقها فراحت تتخبط في دياجر الظلام ، وظنت أن كرامتها في تقليد عدوها ، والسير على منواله فأصابها من الذل والهوان ما لم يمر عليها منذ أن قامت للإسلام قائمة .

وما هذا الجهد المتواضع إلا تذكيراً للأمة بأسباب العزة ، وكيف ترتفع الأمة من غبرائها لتستقر في عليائها ، وتصلى إلى مقام السيادة والريادة ، والله اسأل أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وقارئه وان يجعلنا من أنصار دينه والله تعالى اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

د . محمد بن عبدالله الهبدان

المشرف العام على مؤسسة نور الإسلام

1422 هـ

تمهيد

١ - أسباب اختيار الموضوع .

٢ - تعريف العزة .

٣ - تعريف العزة اصطلاحاً .

٤ - معاني العزة في كلام العرب .

٥ - معاني العزة في القرآن الكريم .

تمهيد

أسباب اختيار الموضوع :

١- عدم وجود بحث متكامل في هذا الموضوع – فيما اعلم – المهم في حياة المسلم ، خاصة في مثل هذا الزمن الذي يضطرب محنا ويموج فتنا .

٢- حتى يبين للناس مفهوم العزة وإنها ليست للذات ولا الاستعلاء للنفس ، إنما هي العزة للعقيدة ، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين .

٣- وحتى يعلم الناس أيضا بان ما معهم هو الخير ، وان دورهم هو أن يطاعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين! [١]

٤- أن العبد إذا رزق العزة رزق الاستعلاء على ركام الأرض فلا تستذله دنيا ، ولا طغاة ، ورحم الله صاحب الظلال الذي طلب منه أن يكتب استرحاماً فيعفون عنه ، بل يضعونه في أعلى المناصب فقال : (إن أصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة يأبى أن ينحني فيخط كلمة يسترضي بها طاغية)[٢]

٥- إن العزة تعتبر صمام أمان للمجتمع من الشرور والأخطار ، فهي تنمي الفضيلة ، وتمحق الرذيلة ، و بها تستجلب المكارم ، وتستدفع المكاره .

لذلك قمت مستعينا بالله تعالى وطالباً منه العون والتسديد في بحث هذه الموضوع الجلل.

تعريف العزة :

العزة مصدر قولهم : عزَّ يعزُّ وعِزا .

واصل هذه المادة : (ع ، ز ، ز) [٣]

وهي تدور حول معاني ، الغلبة والقهر ، والشدة والقوة ونفاسة الشيء وعلو قدره .

---

(١) انظر " الظلال " : (ص 919) .

(٢) انظر " في ضوابط السلوك والمنجيات " لهاشم محمد : (98/1) .

(٣) انظر " مقاييس اللغة " : (38/4) .

قال ابن منظور : العز خلاف الذل .. والعز في الأصل القوة والشدة والغلبة ، يقال : عزَّ يعزُّ بالفتح إذا اشتدَّ ، ورجلٌ عزيزٌ : منيعٌ لا يغلب ولا يقهر . وعزَّ يعزُّ – بالكسر – عزا وعزةً وعزازةً وهو عزيزٌ قلَّ حتى لا يوجد – ورجلٌ عزيزٌ من قوم أعزةٍ ... واعزَّ الرجل : جعله عزيزا ، وملكٌ أعزُّ : عزيز ... وتعزز الرجل : صار عزيزاً ، وتعزز : تشرف [١]

تعريف العزة اصطلاحاً :

عرفت العزة بعدة تعريفات منها :

١- قال الراغب : العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب [٢]

٢- وقال الكفوي : العزة : الغلبة الآتية على كلية الباطن والظاهر (وهذا في جناب الله تعالى) [٣] .

٣- وقال الغزالي : من رزقه الله القناعة حتى استغنى بها عن خلقه ، وأمده بالقوة ، والتأييد حتى استولى بها على صفات نفسه فقد اعزه الله في الدنيا وسيعزه في الآخرة بالتقريب إليه [٤] .

٤- ويمكن أن تعرف العزة بأنها: ارتباط بالله تعالى وارتفاع بالنفس عن مواضع المهانة ، والتحرر من رق الأهواء ومن ذل الطمع ، وعدم السير إلا وفق ما شرع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

<u>ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن العزة لا بد أن يجتمع فيها الأمور التالية :</u>

١- القوة حتى لا يغلب – القوة الإيمانية والجسدية والعلمية – .

٢- القناعة حتى يستغني بها عن الناس .

٣- أن يمده الله بنصره وقوته .

٤- أن يسير على وفق ما أراده الله تعالى .

قال الشاعر :

إسلامنا بالأمس أنشأ امة

([١]) انظر " لسان العرب " : (عزز)

([٢]) المفردات : (ص 333)

([٣]) " الكليات " الكفوي : (639)

([٤]) " المقصد الاسني " : (47) .

كانت تعيش مذلة وصغار

فغدت بفضل الله أعظم امة

كانت لكل الحائرين منار

وإذا اتخذنا ديننا منهاجنا

فيه نربي صفوة أبرار

يشرون دنياهم بأكرم ميتة

حتى ينالوا جنة الخلد والانهارا

وإذا تعود الدار أكرم عودة

ونعود نرفع في الديار الغارا

معاني العزة في كلام العرب :

قال الخطابي : العز في كلام العرب على ثلاثة أوجه :

الأول : معنى الغلبة والقهر ، ومنه قولهم : من عزَّ بزَّ أي غلب وسلب ، ومنه قوله سبحانه : (وعزني في الخطاب) [ص : 23] ، أي : غلبني .

والثاني : معنى الشدة والقوة كقول الهذلي يصف العقاب

حتى انتهيت إلى فراش عزيزة

سوداء روثة انفها كالمخصف

جعلها عزيزة لأنها من أقوى جوارح الطير .

والثالث : أن يكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه : عزّ الشيء يعزُّ – بكسر العين – من يعزُّ فيتأول معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شيء ، وانه لا مثل له ولا نظير والله اعلم .

معاني العزة في القرآن الكريم

العزة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه كما قال بعض المفسرين احدهما : العظمة : ومنه قوله تعالى (وقالوا بعزة فرعون إنا نحن الغالبون) [الشعراء : 44] وقوله تعالى : قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) [ص : 82] .

والثاني : المتعة : ومنه قوله تعالى : (أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) [النساء :139] .

والثالث : الحمية : ومنه قوله تعالى : (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) [البقرة :206] وقوله تعالى : (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) [ص : 2]

الفصل الأول

وتحته

أقسام الـعـزة :

يمكن أن تقسم العزة إلى قسمين :

أ . عزة شرعية ب . عزة غير شرعية

فالأول : العزة الشرعية : وهي التي ترتبط بالله تعالى ورسوله ﷺ ، فيعتز المرء بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة ، فهو لا يريق ماء وجهه ، ولا يبذل عرضه فيما يدنسه ، فيبقى موفور الكرامة ، مرتاح الضمير ، مرفوع الرأس ، شامخ العرين ، سالما من ألم الهوان ، متحررا من رق الأهواء ، ومن ذل الطمع ، لا يسير إلا وفق ما يمليه عليه إيمانه ، والحق الذي يحمله ويدعو إليه (1)

الثاني : العزة غير شرعية : كاعتزاز الكفار بكفرهم وهو في الحقيقة ذل أو الاعتزاز بالنسب على جهة الفخر والخيلاء أو الاعتزاز بالوطن والمال ونحوها كل هذه مذمومة وسنعرف من خلال المبحث التالي تفصيل ذلك .

۞ صور من العزة غير الشرعية :

1 . الاعتزاز بالكفار من يهود ونصارى ومنافقين وعلمانيين وحداثيين وغيرهم

قال تعالى : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴾ [النساء :138-139]

إن الله – جل جلاله – يسأل في استنكار : لم يتخذون الكافرين أولياء وهم يزعمون الإيمان ؟ لم يضعون أنفسهم هذا الموضع ، ويتخذون لأنفسهم هذا الموقف ؟ أهم يطلبون العزة والقوة عند الكافرين ؟ لقد استأثر الله – عز وجل – بالعزة ؛ فلا يجدها إلا من يتولاه ؛ ويطلبها عنده ؛ ويرتكن إلى حماه ..فهي تطلب عنده وإلا فلا عزة ولا قوة عند الآخرين ! وما يستعز المؤمن بغير الله وهو مؤمن . وما يطلب العزة والنصرة والقوة عند أعداء الله وهو يؤمن بالله . وما أحوج ناسا ممن يدعون الإسلام ؛ ويتسمون بأسماء المسلمين ، وهم

(1) انظر : الهمة العالية لمحمد الحمد ص 162 بتصرف يسير .

يستعينون بأعدى أعداء الله في الأرض ، أن يتدبروا هذا القرآن .. إن كانت بهم رغبة في أن يكونوا مسلمين .. وإلا فإن الله غني عن العالمين ! [(١)]

2 . الاعتزاز بالآباء والأجداد :

ومن صور الاعتزاز المذموم الاعتزاز بالآباء والأجداد الذين ماتوا على الكفر ؛واعتبار أن بينهم وبين الجيل المسلم نسبا وقرابة ! كما يعتز ناس بالفراعنة والأشوريين والفينيقيين والبابليين وعرب الجاهلية اعتزازا جاهليا ، وحمية جاهلية .. روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ريحانة : أن النبي ﷺ قال :" من انتسب إلى تسعة آباء كفار ، يريد بهم عزا وفخرا ، فهو عاشرهم في النار " [(٢)] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمِ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ [(٣)]الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ [(٤)] الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ " رواه الترمذي [(٥)]

ذلك أن آصرة التجمع في الإسلام هي العقيدة . وأن الأمة في الإسلام هي المؤمنون بالله منذ فجر التاريخ . في كل أرض ، وفي كل جيل . وليست الأمة مجموعة الأجيال من القدم ، ولا المتجمعين في حيز من الأرض في جيل من الأجيال .

3 ـ الاعتزاز بالقبيلة والرهط

قال تعالى : ﴿ قالوا : يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول ، وإنا لنراك فينا ضعيفا ، ولولا رهطك لرجمناك ، وما أنت علينا بعزيز ﴾ إلى قوله ﴿ قال : يا قوم : ارهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ؟ إن ربي بما تعملون محيط ﴾

﴿ ارهطي أعز عليكم من الله ؟ ﴾

---

(١) انظر : الظلال ص 780 .

(٢) رواه أحمد)

(٣) الجعل : دويبة سوداء تدير الغائط يقال لها الخنفساء .

(٤) العيبة هي : الكبر والفخر والخيلاء .

(٥) رواه الترمذي ورقمه (3955) وأبو داود ورقمه (5116) وقَالَ الترمذي :هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ،وحسنه الألباني (964/3) .

أجماعة من البشر مهما يكونوا من القوة والمنعة فهم ناس ، وهم ضعاف ، وهم عباد من عباد الله .. أهؤلاء أعز عليكم من الله ؟ .. أهؤلاء أشد قوة ورهبة في نفوسكم من الله ؟ ﴿ واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ وهي صورة حسية للترك والإعراض ، تزيد في شناعة فعلتهم ، وهم يتركون الله ويعرضون عنه ، وهم من خلقه ، وهو رازقهم وممتعهم بالخير الذي هم فيه . فهو البطر وجحود النعمة وقلة الحياء إلى جانب الكفر والتكذيب وسوء التقدير ﴿ إن ربي بما تعملون محيط ﴾.[١]

وعن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ وَقَالَ النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ "[٢]

4 . الاعتزاز بالكثرة سواء كان بالمال أو العدد :

قال تعالى في قصة أصحاب الجنة **﴿ وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ [الكهف : 34]** قال ابن كثير . رحمه الله . : (أي أكثر خدما وحشما وولدا ، قال قتادة : تلك والله أمنية الفاجر ، كثرة المال وعزة النفر)[٣] .

وقال تعالى في بيان قارون وما جرى منه ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ [القصص : 76] المال الفائض عن الاستعمال والتداول – وبأن مفاتح هذه الكنوز تعيي المجموعة من أقوياء الرجال .. من أجل هذا بغى قارون على قومه . ولا يذكر فيم كان البغي ، ليدعه مجهلا يشمل شتى الصور . فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم – كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان – وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال . حق الفقراء في أموال الأغنياء ، كي لا يكون دولة بين الأغنياء

(١) انظر : الظلال ص 1922 .
(٢) رواه مسلم ورقمه (934) .
(٣) تفسير القرآن العظيم ص 811 .

وحدهم ومن حولهم محاويج إلى شيء منه ، فتفسد القلوب ، وتفسد الحياة . وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب .

وعلى أية حال فقد وجد من قومه من يحاول رده عن هذا البغي ، ورجعه إلى النهج القويم ، الذي يرضاه الله في التصرف بهذا الثراء ؛ وهو نهج لا يحرم الأثرياء ثراءهم ؛ ولا يحرمهم المتاع المعتدل بما وهبهم الله من مال ؛ ولكنه يفرض عليهم القصد والاعتدال ؛ وقبل ذلك يفرض عليهم مراقبة الله الذي أنعم عليهم ، ومراعاة الآخرة وما فيها من حساب :

﴿ إذ قال له قومه : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض . إن الله لا يحب المفسدين ﴾ .

وفي هذا القول جماع ما في المنهج الإلهي القويم من قيم وخصائص تفرده بين سائر مناهج الحياة .

﴿ لا تفرح ﴾ .. فرح الزهو المنبعث من الاعتزاز بالمال ، والاحتفال بالثراء ، والتعلق بالكنوز ، والابتهاج بالملك والاستحواذ .. لا تفرح فرح البطر الذي ينسي المنعم بالمال ؛ وينسي نعمته ، وما يجب لها من الحمد والشكران . لا تفرح فرح الذي يستخفه المال ، فيشغل به قلبه ، ويطير له لبه ، ويتطاول به على العباد ..

﴿ إن الله لا يحب الفرحين ﴾ .. فهم يردونه بذلك إلى الله ، الذي لا يحب الفرحين المأخوذين بالمال ، المتباهين ، المتطاولين بسلطانه على الناس .[١]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تنكحوا النساء لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن وانكحوهن على الدين فلأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل " رواه البيهقي [٢]

5 . الاعتزاز بالجاه والمنصب :

(١) انظر : الظلال ص 2711

(٢) رواه البيهقي

قال تعالى : ﴿ **فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون** ﴾ **[الشعراء :44]** فاستغاثوا بعزة عبد ضعيف ، عاجز من كل وجه ، إلا أنه قد تجبر وحصل على صورة ملك وجنود،فغرتهم تلك الأبهة ، ولم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر .[١] قال بعض السلف الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله[٢]

6 . الاعتزاز عند النصح والإرشاد :

قال تعالى : ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾ [البقرة:206] يعني إذا نصحه الناصح ،ووعظه بتقوى الله الذي أشهده على نفسه ليرتدع عن منكره وفساده الذي سعى به ، يسرع إليه الغضب ، ويعظم عليه الأمر ويأخذه الكبر والأنفة عن قبول النصح والإصغاء إليه ، إذ عزة المنصب الذي حصل عليه ألبسته الكبر الذي يجعله ملازما للإثم ، مستهترا بنصح الناصح ، لأنه بإصراره على فعل الفساد مستهزئ بربه ، لأن العزة التي حصل عليها قد لابسته مع الكفر ..[٣]

7 . الاعتزاز بجمال الثياب :

عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارا " رواه ابن ماجه[٤] .

8 . الاعتزاز بالأصنام والأوثان :

قال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴾ [مريم :19-20]فهؤلاء الذين كفروا ربهم يتخذون من دونه آلهة يطلبون عندها العزة ، والغلبة والنصرة ، وكان فيهم من يعبد الملائكة ومن يعبد الجن ويستنصر بهم ويتقون بهم ..كلا فسيكفر الملائكة والجن بعبادتهم ، وينكرونها عليهم ، ويبرأون إلى الله منهم ﴿ ويكونون عليهم ضدا ﴾ بالتبرؤ منهم والشهادة عليهم .[٥]

---

(١) **انظر : تفسير ابن سعدي ص 539 .**
(٢) **الفتاوى الكبرى (66/1) .**
(٣) **انظر : تفسير الشيخ عبد الرحمن الدوسري (304/3) .**
(٤) **رواه ابن ماجه ورقمه (3607) وحسنه الألباني**
(٥) **انظر : تفسير ابن كثير ص 844 . في ظلال القرآن ص 2320 .**

الفصل الثاني

مصادر العزة

للعزة مصادر شتى لكنها مثل السراب لا حقيقة لها ، والعزة الحقيقة لها مصدر واحد وهو الله جل جلاله ، والالتجاء إلى جنابه ، فهو سبحانه يذل من يشاء ، ويعز من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير يقول الله تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ [آل عمران : 26] فالله سبحانه هو المعز الحقيقي لمن يشاء إعزازه من البشر ، بما يقيض له من الأسباب الموجبة للعز ، كالقوة وحماية الذمار ، ونصرة الحق ، وكثرة الأعوان ، ونفاذ الكلمة ، وغير ذلك من الصفات التي تجعل الحاصل عليها عزيزا .

ولا تلازم بين العز والملك ، فقد يكون الملك ذليلا لعدم قوته ونفوذه ، أو لعدم استقلاله بسياسته الخرقاء ، فيكون منفذا لإرادة الغير .

وكم من إنسان لا ملك له ولا سلطان ، ولكنه يعيش عزيزا ، وله نفوذ وعزة أقوى من نفوذ وعزة السلطان ، وذلك لتوفر وسائل العز وأسبابه التي قدرها الله له .(١) يروى أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حج في بعض الحجاج ومعه زوجته ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل ، فإذا هو بجماعة حول رجل يسألونه ، فبعضهم يقول : رميت قبل أن أحلق ، وبعضهم يقول : حلقت قبل أن أرمي ،ويسألونه عن أشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج ..فقال : من هذا ؟ قالوا : هذا عبدالله بن عمر ..فالتفت إلى زوجته ، فقال : هذا وأبيك الشرف ، وهذا والله شرف الدنيا والآخرة .(٢)

قال القرطبي : (فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر ويدخل دار العزة ولله العزة فليقصد بالعزة الله سبحانه والاعتزاز به فإنه من اعتز بالعبد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله)(٣)   قال أبو بكر الشبلي : (من اعتز بذي العز فذو العز له عز)(١) .

---

(١) تفسير صفوة الآثار والمفاهيم (95/4) .

(٢) انظر : جامع بيان العلم وفضله .

(٣) تفسير القرطبي (323/14) .

يقول الله تعالى : ﴿ من كان يريد العزة فلله العزّة جميعاً ﴾ [فاطر : 10] هذه الحقيقة كفيلة حين تستقر في القلوب أن تبدل المعايير كلها ، وتبدل الوسائل والخطط أيضاً !

إن العزة كلها لله . وليس شيء منها عند أحد سواه . فمن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره . ليطلبها عند الله ، فهو واجدها هناك وليس بواجدها عند أحد ، ولا في أي كنف ، ولا بأي سبب ﴿ فلله العزّة جميعاً ﴾ ..

إن الناس الذين كانت قريش تبتغي العزة عندهم بعقيدتها الوثنية المهلهلة ؛ وتخشى اتباع الهدى – وهي تعترف أنه الهدى – خشية أن تصاب مكانتها بينهم بأذى . إن الناس هؤلاء ، القبائل والعشائر وما إليها ، إن هؤلاء ليسوا مصدراً للعزة ، ولا يملكون أن يعطوها أو يمنعوها ﴿ فلله العزّة جميعاً ﴾ .. وإذا كانت لهم قوة فمصدرها الأول هو الله . وإذا كانت لهم منعة فواهبها هو الله . وإذن فمن كان يريد العزة والمنعة فليذهب إلى المصدر الأول ، لا إلى الآخذ المستمد من هذا المصدر . ليأخذ من الأصل الذي يملك وحده كل العزة ، ولا يذهب يطلب قمامة الناس وفضلاتهم . وهم مثله طلاب محاويج ضعاف !

إنها حقيقة أساسية من حقائق العقيدة الإسلامية . وهي حقيقة كفيلة بتعديل القيم والموازين ، وتعديل الحكم والتقدير ، وتعديل النهج والسلوك ، وتعديل الوسائل والأسباب ! ويكفي أن تستقر هذه الحقيقة وحدها في أي قلب لتقف به أمام الدنيا كلها عزيزاً كريماً ثابتاً في وقفته غير مزعزع ، عارفاً طريقه إلى العزة ، طريقه الذي ليس هنالك سواه !

إنه لن يحني رأسه لمخلوق متجبر . ولا لعاصفة طاغية . ولا لحدث جلل . ولا لوضع ولا لحكم . ولا لدولة ولا لمصلحة ، ولا لقوة من قوى الأرض جميعاً . وعلام ؟ والعزة لله جميعاً . وليس لأحد منها شيء إلا برضاه ؟ (٢) كما قال تعالى : ﴿ أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴾ [النساء : 139]فالعزة لله وحده ، فهي تطلب

(١) حلية الأولياء (374/10) .

(٢) ظلال القرآن ص 2930 .

عنده وإلا فلا عزة ولا قوة عند الآخرين .ولذا رد الله تعالى على المنافقين الذين أدعو أن العزة لهم فقال :﴿ يقولون : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ [المنافقون : 8] وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا الآية نزلت في عبدالله بن أبي بن سلول :(١)

وفصل ابن إسحاق هذا في حديثه عن غزوة بني المصطلق سنة ست على المريسيع .. ماء لهم .. فبينا رسول الله على ذلك الماء – بعد الغزوة – وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عون ابن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار . وصرخ جهجاه . يا معشر المهاجرين . فغضب عبدالله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم غلام حدث . فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا . والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم : أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم . فمشى به إلى رسول الله وذلك عند فراغ رسول الله من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب . فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ولكن أذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله يرتحل فيها . فارتحل الناس ، وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه – فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفا عظيما . فقال من حضر رسول الله من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل . حدبا على ابن أبي بن سلول ودفعا عنه .

(١) ظلال القرآن ص 3575 وما بعده .

قال ابن إسحاق فلما استقل رسول الله وسار لقيه أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله ؟ قال عبدالله بن أبي قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل ؟ قال : فأنت يا رسول الله والله لتخرجنه منها إن شئت . هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ارفق به . فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا !

ثم مشى رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس . ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك رسول الله ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبدالله ابن أبي .

قال ابن إسحاق : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين ، في ابن أبي ومن كان على مثل أمره . فلما نزلت أخذ رسول الله بأذن زيد بن ارقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى لله بأذنه .. وبلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي الذي كان من أمر أبيه .

قال ابن إسحاق . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبدالله أتى رسول الله فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه . فإن كنت لا بد فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه . فقال رسول الله لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي : اقتله لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم تقتله لقتلته .. قال : قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمري ..

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبدالله بن عبدالله بن أبي على باب المدينة ، وستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبدالله بن أبي قال له ابنه : وراءك ! فقال : مالك ؟ ويلك ! فقال : والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله فإنه العزيز وأنت الذليل ! فلما جاء رسول الله وكان إنما يسير ساقة ، فشكا إليه عبدالله بن أبي ابنه . فقال ابنه عبدالله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له . فأذن له رسول الله فقال : أما إذ أذن رسول الله فجز الآن ..

إنها صورة رائعة ..صورة الرجل المؤمن عبدالله بن عبدالله بن أبي . وهو يأخذ بسيفه مدخل المدينة على أبيه فلا يدعه يدخل . تصديقا لمقاله هو : ﴿ ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ . ليعلم أن رسول الله هو الأعز . وأنه هو الأذل . ويظل يقفه حتى يأتي رسول الله فيأذن له . فيدخلها بإذنه . ويتقرر بالتجربة الواقعة من هو الأعز ومن هو الأذل . في نفس الواقعة . وفي ذات الأوان .

ألا إنها لقمة سامقة تلك التي رفع الإيمان إليها أولئك الرجال . رفعهم إلى هذه القمة ، وهم بعد بشر ، بهم ضعف البشر ، وفيهم عواطف البشر ، وخوالج البشر . وهذا هو أجمل وأصدق ما في هذه العقيدة ، حين يدركها الناس على حقيقتها ، وحين يصبحون هم حقيقتها التي تدب على الأرض في صورة أناسي تأكل الطعام وتمشي في الأسواق . [1]

(١) الظلال ص

الفصل الثالث

أسباب العزة

١ - الإيمان بالله تعالى وطاعته .

٢ - الإيمان باليوم الأخر .

٣ - الإيمان بالملائكة .

٤ - الإيمان بالرسل والانتماء إليهم .

٥ - الجهاد في سبيل الله .

٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٧ - التواضع .

٨ - العلم .

٩ - العفو عن الناس مع المقدرة .

١٠ - اليقين بأن المستقبل لهذا الدين .

الفصل الثالث

أسباب العزة

لنيل العزة أسباب كثيرة منها :

١ -الإيمان بالله تعالى وطاعته :

يقول الله تعالى : (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [فاطر : 10] .

قال قتادة – رحمه الله – : (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً) أي : فلتعزز بطاعة الله عز وجل [١] .

قال الزجاج معناه : (من كان يريد بعبادة الله عز وجل العزة والعزة له سبحانه فان الله عز وجل يعزه في الآخرة والدنيا) [٢]

وقال صلى الله عليه وسلم مفسراً لقوله : (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً) : " من أراد عز الدارين فليطع العزيز " وهذا في قول الزجاج .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله بالكلم الطيب والعمل الصالح) [٣] ولذا كان من دعاء بعض السلف : (اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك) [٤] .

قال إبراهيم الخواص : (على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه ويقيم له العز في قلوب المؤمنين فذلك قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [٥]

وقال الحسن: (وان هملجت بهم البراذين ، وطقطقت بهم البغال ، إن ذل المعصية لفي قلوبهم أبي الله عز وجل إلا إن يذل من عصاه وذلك إن من

---

(١) " تفسير ابن كثير " : (ص 1102) .
(٢) " تفسير القرطبي " : (323/14) .
(٣) " طريق الهجرتين " : (ص 8) .
(٤) الجواب الكافي : (ص 81) .
(٥) " حلية الأولياء " : (327/10)

أطاع الله تعالى فقد والاه ، ولا يذل من والاه ربه كما في دعاء القنوت : " انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت) [١]

وقال ابن القيم : (وفي الحديث : اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك) [٢]

وقال بعضهم : (من المعصية إلى عز الطاعة ، فالعزة من جنس القدرة والقوة ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال : "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ").

وعلى قدر طاعة العبد ربه يكون عزه ورفعة مكانه كما قال ابن القيم – رحمه الله – : (والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة ، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته ، فلإتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة ، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة) [٣]

٢ -الإيمان باليوم الآخر :

من أسباب عزة المؤمن إيمانه باليوم الآخر ، وان هذه الدنيا دار فناء لا دار بقاء ، فلا يتحسر على فواتها ، ولا يستذل من اجلها و لا يحزن على فراق لذاتها لأنها متاع قليل كما قال تعالى : (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) غافر39.

فسمى الله تبارك وتعالى ما زين الناس من زهرة الدنيا متاعا لان يتمتع به ثم يزول ، أما نعيم الآخرة فهو باق ، ليس له نفاد ({مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ) [النحل :96] . (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ) [ص:54]

قد ضرب الله تعالى مثلا لسرعة زوال الدنيا وانقضائه بالماء النازل من السماء الذي يخالطه نبات الأرض فيخضر ويزهر ويثمر ، وما هي إلا فترة يسيرة

(١) " إغاثة اللهفان " : (48/1) ، وانظر : " الفتاوى الكبرى " : (66/1) .

(٢) " طريق الهجرتين " : (187/1) .

(٣) " زاد المعاد " : (136/1) .

فتزول تلك البهجة ، فيذوي ويصفر ، ثم تعصف به الرياح في كل مكان ، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والسلطان والطغيان .. وكلها تتلاشى وتنقضي ، فالشباب سيعقبه الهرم ، والصحة والعافية يلاحقها المرض ، والأموال والأولاد يطاردهم الفناء ، قال تعالى : (اضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً) [الكهف : 45-46]

وقد صور لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال : " والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه – وأشار بالسبابة – في اليم فلينظر بم يرجع) [١]

فإذا تأمل المؤمن هذه الحقائق وعلم أن الله تعالى اعد للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا فإنه سيكون عزيزاً قوياً بإذن الله تعالى . قال تعالى : (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ) آل عمران: 198

ويقول سبحان : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [طه : 131] .

"وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها "[٢]

إن رسوخ هذه الحقائق في القلوب يورثها العز الذي يتعالى على لذات الدنيا وشهواتها ، ويترفع عن حطامها الفاني ، ومتاعها الزائل .

٣ -الإيمان بالملائكة:

إن الماء العبد بالملائكة يجعله عزيزا ، لأنه يعلم حينها انه ليس وحده على الطريق ، فلا يستوحش من قلة السالكين وكثرة الهالكين ، ومعاداة المعاندين فان معه ملائكة كراما بررة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . كيف يستوحش المؤمن في الطريق وهو يعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال

(١) رواه مسلم : (2858) .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

في البيت المعمور الذي في السماء السابعة : (فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك يعودون إليه آخر ما عليهم) [١]

كيف يكون ذليلاً حقيراً من يعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك) فعلى ذلك فإن الذين يأتون بجهنم يوم القيامة أربعة ألاف وتسعمائة مليون ملك !!

كيف لا يكون عزيزاً من علم قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال لأصحابه : " أتسمعون ما أسمع ؟ " قالوا : ما نسمع من شيء ، قال : " إني لأسمع اطيط السماء وما تلام إن تئط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم " [٢]

فهل يمكن لجيوش الدنيا أن تقف أمام هذا العدد الهائل من الملائكة ؟! بل أمام ملك واحد منهم الذي بين النبي صلى الله عليه وسلم صفته إلا وهو جبريل عليه السلام .. فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سدّ الأفق !! يسقط من جناحه التهاويل – أي الأشياء المختلفة الألوان – من الدر واليواقيت " [٣]

وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذن لي أن احدث عن احد حملة العرش ، ما بين شحمة أذنه وعاقته مسيرة سبعمائة عام " [٤]

4- الإيمان بالرسل والانتماء إليهم :

من أسباب العزة أيضا شعوره بانتمائه إلى كوكبة الأنبياء ، وزمرة الأصفياء ، الذين هم خيرة الله في أرضه وأكرمهم على الله ، اصطفاهم الله من بين العالمين ، كما قال تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا }مريم58 ونصرهم على العالمين ، وجعل لهم العزة

---

[١] رواه البخاري ومسلم .

[٢] رواه الطبراني في الكبير عن حكيم بن حزام ، قال الألباني في السلسلة (852) : صحيح على شرط مسلم .

[٣] قال ابن كثير في " البداية والنهاية " : (47/1) : إسناده جيد .

[٤] رواه أبو داود والضياء ، وصححه الألباني ، وهو في السلسلة الصحيحة رقم (151) .

والتمكين ، ورفع ذكرهم وأعلا شأنهم ورفع قدرهم . فالمؤمن حينما يستعرض موكب الرسالات ، وموكب الرسل ، منذ فجر البشرية ، ومنذ أول نبي – ادم عليه السلام – إلى رسالة النبي الأمي صلى الله عليه وسلم فماذا يرى ؟

يرى هذا الموكب المتطاول المتواصل ، موكب الهدى والنور ... ويرى فضل هذه الكوكبة على البشرية التائهة ويرى الخير العظيم الذي نشرته في العالمين .. حينها يعلم انه يعتمد على ركن عظيم .

5- الجهاد في سبيل الله

إن من المعلوم من الدين بالضرورة ما للجهاد في سبيل رفعة راية الدين من مكانة عالية ومنزلة رفيعة ومرتبة سامية .. ولذا عده النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل الأعمال عقب الإيمان بالله وبرسوله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل : أي الإعمال خير وأفضل ؟ قال : " إيمان بالله ورسوله " قال : ثم أي ؟ قال : " ثم جهاد في سبيل الله سنام العمل " الحديث رواه احمد وغيره بإسناد حسن . فإذا تجرد الإنسان من كل ملذات الدنيا وشهواتها ، و ألقى بنفسه في ساحات الوغى ، وليس له هدف ولا أمل إلا في رفعة راية الدين خفاقة ، فان الله تعالى يكرمه برفعة مقامه وإعلاء شأنه ، قال بعض الحكماء : سيف الجهاد والقتال هو آية العز ، وبه مصرت الأمصار ومدنت المدن ، وانتشر الدين الإسلامي ، ونفذت تشريعاته ، وبه حمي الإسلام من عبث العابثين في غابر الزمان ، ويحميه من طمع الطامعين في الحاضر وبه امتدت سيطرة الإسلام إلى ما وراء جبال الاورال شمالا وخط الاستواء جنوباً والصين شرقاً وجبال الميرن غرباً . [١]

وإذا تقاعس المسلمون عن الجهاد خانوا أمانة الله في نصرة دينه ، ونقضوا بيعة الله التي بايعهم فيها على النفس والمال فصار أمرهم إلى هذه الحال ، ويصير أسوأ منها لتفضيلهم العيش الرخيص واللذة الحيوانية عيش الذل وفرض الإرادة عليهم من اليهودية العالمية على حياة العز واستلام العالمية التي أوجبت الله عليهم انتزاعها من اليهود ولم تصبح اليهودية عالمية تسير الغرب والشرق إلا بسبب

[١] انظر " صفوة الآثار والمفاهيم " : (334/3) .

تفريط الأمة المحمدية ، ورفض استجابتها لنداءات الله التي تحقق لها الحياة الطيبة وانعكاس أمرها باستجابتها لمخططات أعدائها المفسدة لعقولها وأجسامها ، والقالبة لأوضاعها رأسا على عقب [١] ولذا كتب الله تعالى الذلة والصغار إذا ترك ذروة سنام الإسلام ، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم إذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " [٢]

6- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد جعل الله تعالى من أسباب عزة الأمة وكرامتها القيام بهذه الشعيرة العظيمة والتي بسببها كرمت على سائر الأمم ، وفضلت على العالمين ، قال تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ) [آل عمران : 110]

قال أبو عبد الرحمن العمري : من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الله تعالى ، فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لا ستخف به [٣] .

انظر ماذا يحدث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزة وكرامة ! يقول أبو الحسن الباجي : (طلع شيخنا عز الدين – ابن عبد السلام – مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة ، فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة وما السلطان فيه يوم العيدة من الأبهة وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية ، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه : يا أيوب .. – هكذا .. بلا مقدمات أو تبجيلات – ما حجتك عند الله إذا قال لك : الم أبوي لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى هذا . فقال : نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة يناديه بأعلى صوته ، والعساكر واقفون ، فقال :

---

(١) انظر : " صفوة الآثار والمفاهيم " : (241/3) .

(٢) رواه أبو داود : برقم (3462) .

(٣) " صفوة الصفوة " : (181/2) .

يا سيدي هذا ما أنا عملته ، هذا من زمان أبي ، فقال : أنت من الذين يقولون : {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ }الزخرف22 فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة .

يقول الباجي : سالت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر : يا سيدي كيف الحال ؟ فقال : يا بني رايته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه ، فقلت : يا سيدي أما خفته ؟ فقال: والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط " [١]

وهذا الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي – رحمه الله – كان شديد الإنكار للمنكر لا يرى شيئاً إلا أنكره يقول : نصر بن رضوان المقرئ : ما رأيت أحدا على سيرة الحافظ ، كان مشتغلا طوال زمانه قيامه في المنكر كان لا يرى منكرا إلا غيره بيده أو بلسانه ، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ، قد رايته مرة يهريق خمرا فجبذ صاحبه السيف فلم يخف منه أخذه من يده ، وكان قويا في بدنه وكثيرا ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبابات .

قال خالي الموفق : كان الحافظ لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه وكان مرة أنكرنا على قوم وارقنا خمرهم وتضاربنا فسمع خالي أبو عمر فضاق صدره وخاصمنا فلما جئنا إلى الحافظ طيب قلوبنا وصوب فعلنا وتلا (وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) [لقمان: 17] وسمعت أبا بكر بن احمد الطحان قال : كان بعض أولاد صلاح الدين قد عملت لهم طنابير وكانوا في بستان يشربون فلقي الحافظ الطنابير فكسرها ، قال : فحدثني الحافظ قال : فلما كنت أنا وعبد الهادي عند حمام كافور إذا قوم كثير معهم عصي فخففت المشي وجعلت أقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، فلما صرت على الجسر لحقوا صاحبي فقال أنا ما كسرت لكم شيئاً هذا هو الذي كسر ، قال : فإذا فارس يركض فترجل وقبل يدي وقال : الصبيان ما عرفوك .

وكان وقد وضع الله له هيبة في النفوس ، سمعت فضائل ابن محمد بن علي بن سرور المقدسي يقول : سمعتهم يتحدثون بمصر إن الحافظ كان قد دخل على

---

(١) " طبقات الشافعية " (8/211-212) .

العادل فقام له ، فلما كان اليوم الثاني جاء الأمراء إلى الحافظ مثل سركس وازكش فقالوا : آمنا بكراماتك يا حافظ . وذكروا أن العادل قال : ما خفت من احد ما خفت من هذا ! فقلنا : أيها الملك هذا رجل فقيه . قال : لما دخل ما خيل إلى إلا أنه سبع [١]

7- التواضع :

من أسباب العز تواضع العبد وخفض جناحه للمؤمنين كما قال تعالى : (وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً) [الفتح : 3] .

قال ابن كثير – رحمه الله – : (أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك) ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وما تواضع احد لله إلا رفعه الله" [٢] .

عن عابس بن ربيعة قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر : يا أيها الناس تواضعوا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من تواضع لله رفعه الله ، فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس عظيم ، ومن تكبر وضعه الله عز وجل ، فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير ، وحتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير " [٣]

ولقد أحسن من قال :

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً ... منا إليك فعزها في ذلها

8- العلم :

ومن أسباب العزة حمل العلم ونشره بين الناس قال تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة : 11]

قال ابن القيم – رحمه الله – : (العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ما لا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرهما ، فالعلم يزيد الشريف شرفاً ، ويرفع العبد

---

(١) " سير أعلام النبلاء " : (454/21) .

(٢) رواه مسلم : برقم (2588)

(٣) رواه الشهاب في مسنده : (219/1) ، ورقمه (335) .

المملوك حتى جلسه مجالس الملوك ، كما ثبت في الصحيح [١] من حديث الزهري عن أبي الطفيل ، أن نافع بن عبد الحارث لما أتى لقى عمر بن الخطاب بعسفان – وكان عمر استعمله على مكة – فقال له عمر : من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزى ، فقال : من ابن ابزي ؟ قال : رجل من موالينا ، قال عمر : فاستخلفت عليهم مولى ؟ قال ك انه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض ، فقال عمر : أما أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : " أن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما يضع به آخرين " .

قال أبو العالية : (كنت أتي ابن عباس وهو على سريره وحوله قريش فيأخذ بيدي ، فيجلسني معه على السرير فتغامر بي قريش ، ففطن لهم ابن عباس فقال : كذا هذا العلم ، يزيد الشريف شرفاً ، ويجلس المملوك على الأسرة)

قال إبراهيم الحربي : (كان عطاء بن أبي رباح عبداً اسود لامرأة من أهل مكة ، وكان انفه كأنه باقلاء ، قال وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو ابناه ، فجلسوا إليه وهو يصلي ، فلما صلى أنفتل إليهم ، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم ، ثم قال سليمان لابنيه : قوما فقاما ، فقال : يا بني لا تنيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود) .

وقال خيثمة بن سليمان : (سمعت ابن أبي الخناجر يقول : كنا في مجلس يزيد بن هارون والناس قد اجتمعوا إليه ، فمر أمير المؤمنين فوقف علينا في المجلس ، وفي المجلس ألوف إلى أصحابه ، وقال : هذا الملك ....)

وقال سفيان الثوري : (من أراد الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم) .

وقال عبد الله بن داود : (سمعت سفيان الثوري يقول : إن هذا الحديث عزٌّ ، فمن أراد به الدنيا وجدها ، ومن أراد به الآخرة وجدها) .

وقال النضر بن شميل : (من أراد أن يشرف في الدنيا والآخرة فليتعلم العلم ، وكفى بالمرء سعادة أن يوثق به في دين الله ، ويكون بين الله وبين عباده)

---

[١] صحيح مسلم : برقم (817) .

وقال سفيان بن عيينة : (ارفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده ، وهم الأنبياء والعلماء) [١] يقول ابن عباس : (ذللت طالباً فعززت مطلوباً) [٢]

وتأمل ما حصل لأدم من تميزه على الملائكة واعترافهم له بتعليم الله له الأسماء كلها ثم ما حصل له من تدارك المصيبة والتعويض عن سكني الجنة بما هو خير له منها بعلم الكلمات التي تلقاها من ربه .

وما حصل ليوسف من التمكين في الأرض والعزة والعظمة بعلمه بتعبير تلك الرؤيا ، ثم علمه بوجوه استخراج أخيه من إخوته بما يقرون به و يحكمون هم به حتى آل الأمر إلى ما آل إليه من العز والعاقبة الحميدة وكمال الحال التي توصل إليها بالعلم كما أشار إليه سبحانه في قوله : (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [يوسف :76] ، جاء في تفسيرها : نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته بالعلم .

وقال في إبراهيم صلى الله عليه وسلم : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء) [الأنعام : 83] ، فهذه رفعة بعلم الحجة ، والأول رفعة بعلم السياسة .

وكذلك ما حصل للخضر بسبب علمه من تلمذة كليم الرحمن له وتلطفه معه في السؤال حتى قال:(قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) [الكهف : 66] ، وكذلك ما حصل لسليمان من علم منطق الطير حتى وصل إلى ملك سبأ وقهر ملكتهم واحتوى على سرير ملكها ودخولها تحت طاعته ولذلك قال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) [النمل : 16] ، وكذلك ما حصل لداود من علمه نسج الدروع من الوقاية من سلاح الأعداء .

وعدد سبحانه هذه النعمة بهذا العلم على عباده فقال : (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) [الأنبياء : 80] .

---

(١) انظر " مفتاح دار السعادة " : (501/1) وما بعده باختصار .

(٢) " مفتاح دار السعادة " : (509/1) .

وكذلك ما حصل للمسيح من علم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ما رفعه الله به إليه وفضله وكرمه [١] .

9- العفو عن الناس مع المقدرة :

من أسباب العزة العفو عن الناس وتجاوز عثراتهم فعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً ، وما تواضع احد لله إلا رفعه الله) [٢] .

وعن أبي كبشة الانماري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ثلاثة اقسم عليهن و أحدثكم حديثاً فاحفظوه" قال : " ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً ، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها " [٣] الحديث .

وإذا أردت أخي المسلم أن تعرف عظمة العفو عن الناس ومقدار ما يصيب الإنسان من العزة والكرامة من جرائه فتذكر ذلك الإعلان العظيم الذي أعلنه النبي صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة وتمكن من رقاب خصومه ، تمكن من أعداء الدعوة ، تمكن من أولئك الذين كانوا ينصابون له العداء ، تمكن من الذين حاولوا مراراً وتكراراً قتله والقضاء عليه ، ومع ذلك أعلن صلى الله عليه وسلم العفو العام عن أهل مكة إلا نفراً قليلاً ، فعندما اجتمعوا إليه قرب الكعبة ينتظرون حكمه فيهم فقال له : " ما تظنون أني فاعل بكم ؟ " فقالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم فقال : " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم " وفي رواية: أنه قال لهم : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " [٤]

فيا لها من صورة ما أروعها ! ويا لها من أخلاق ما أجملها ! تقول عائشة رضي الله عنها : " ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ، ولا امرأة

---

(١) " مفتاح دار السعادة " : (1/521-522) .

(٢) رواه مسلم : برقم (2588) .

(٣) رواه الترمذي : (2325) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية " : (ص569) .

ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط ، فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم لله تعالى " [١]

كان صلى الله عليه وسلم يتمثل توجيه رب العزة له : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف : 199] .

يقول انس رضي الله عنه : كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه إعرابي فجبذة جبذة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبته ، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء [٢]

وعندما اخطأ إخوة يوسف عليه .. فذاق بسببهم صنوفاً من المحن ، وأنواعاً من الاضطهاد ، عبودية ورق .. وسجن وظلم ، وفرقة وشتات .. مع ذلك كله عندما تمكن منهم ما زاد إلا أن قال لهم : (قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [يوسف :93]

وحينما اجتاحت موجة الحزن نفس أبي بكر لما سمع من حديث الافك ، تلوكه بعض الألسن الآثمة ، فتنال من ابنته عائشة أم المؤمنين آلى على نفسه أن يقطع عونه عن أولئك الجاحدين للفضل ممن خاضوا في هذا الحديث الإثم ، فتنزل ، قوله تعالى فيه : (وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [النور: 22] .

فعفا وأعاد العطاء رضي الله عنه . يقول النبي صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر حين قال : يا رسول الله ، اخبرني بفواضل الأعمال ؟قال : يا عقبة " صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعرض عمن ظلمن " وفي رواية : " واعف عمن ظلمك " [٣]

([١]) رواه مسلم .

([٢]) متفق عليه .

([٣]) رواه احمد والطبراني .

10-اليقين بأن المستقبل لهذا الدين

إن دين الإسلام هو دين الحق الذي كتب الله عز وجل له البقاء وقدر سبحانه أن الله ناصر دينه، ومعل كلمته ، مهما طال الزمان أو قصر ، ومهما تكالب الأعداء للفتك به وبأهله فإن الدائرة على الكافرين قال تعالى : (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ{ 32} هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة : 32-33] .

إذن المستقبل لهذا الدين ، والعزة لأهل هذا الدين ، والتمكين للمتمسكين بهذا الدين ، العاضين عليه بالنواجذ ، المهتدين بهديه ، المستنين بسنته ، المقتفين أثره ، السائرين على منهاجه ، قال جل جلاله في تحلية هذه الحقيقة الكبرى ، والنعمة العظمى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ{55} وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [النور : 55-56] ، قال سبحانه : (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [غافر: 51] .

وان ديناً كتب الله له الظهور ، ولأهله النصر والتمكين في الأرض لا بد أن يستعلي ويهيمن وان يصبح أهله أهل القيادة والسيادة ، فيملأون الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وان يحرروا الناس من عبودية المخلوقات إلى عبادة الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، الذي (وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [البقرة : 117] .

إن استقرار هذا المعنى في قلوب أهل الإيمان في هذا الزمان يبعد خواطر التشاؤم عن القلوب ، وضرورة غلبته ، وظهوره وهيمنته على سائر الأمم والشعوب ، عن تميم الداري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا ادخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر "

وكان تميم الداري يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي ، لقد أصاب من اسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذُل والصغار والجزية .

الفصل الرابع

مواقف وأحداث في طريق العزة

لقد جرى في تاريخ الأمة الطويل مواقف كلما تذكرها المسلم عرف أنه ينتسب إلى أمة أعزها الله تعالى ، ورفع من شأنها ، وأعلى من مكانها ، فكيف يليق بمن ينتسب لهذه الأمة أن يضع رأسه في التراب ، وأن يترك زمام المبادرة في قيادة العالم لغيره ، فإليك أخي القارئ نماذج فذة ومواقف باهرة ، وأحداث عظيمة :

❁ موقف إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عندما قذف الله تعالى الإسلام في قلب عمر رضي الله عنه اخذ سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته ؛ قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف ! فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال يا رسول الله : هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف ، فقال حمزة : فأذن له ؛ فان كان جاء يريد خيراً بذلناه ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله ﷺ : ايذن له فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فاخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة فقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ! فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ! قال : فكبر رسول الله تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم . (١)

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : سألت عمر بن الخطاب ؛ لأي شيء سميت الفاروق ؟ قال : أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام . ثم قص عليه قصة إسلامه وقال في آخره . قلت . : أي حين أسلمت . يا رسول الله ! ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟

(١) البداية والنهاية (40/3) .

قال : بلى ! والذي نفسي بيده ؛ إنكم على الحق وإن متم وإن حييتم ، قال : قلت : ففيم الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن ، فأخرجناه في صفين ، حمزة في أحدهما ، وأنا في الآخر ، له كديد ككديد الطحين ، حتى دخلنا المسجد ، قال : فنظرت إليّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها ، صماني رسول الله ﷺ الفاروق يومئذ (١) .

وعن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه قال : لما أسلم عمر ظهر الإسلام ، ودعي إليه علانية ، و جلسنا حو البيت حِلقاً ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به .(٢)

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . (٣)

۞ موقف عمر بن الخطاب مع أبو عبيدة رضي الله عن الجميع :

عن طارق بن شهاب قال : خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة .

فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا ؟! تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك.

فقال عمر : أوه ! لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله " رواه الحاكم (٤)

---

(١) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص 103 .

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 13 .

(٣) أخرجه البخاري ، باب إسلام عمر بن الخطاب (545/1) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (130/1) ورقمه (207) . وقد صور لنا رسول الله ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال : " والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه ــ وأشار بالسبابة ــ في اليم فلينظر بم يرجع " رواه مسلم .

۞ موقف أسامة بن زيد مع حكيم بن حزام :

عن حكيم بن حزام قال كان محمد صلى الله عليه وسلم أحب رجل من الناس إلي في الجاهلية فلما نبيء صلى الله عليه وسلم وخرج إلى المدينة شهد حكيم الموسم وهو كافر فوجد حلة لذي يزن تباع فاشتراها ليهديها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم بها عليه المدينة فأراده على قبضها هدية فأبى .

فقال : إنا لا نقبل من المشركين شيئا ولكن إن شئت أخذتها منك بالثمن فأعطيته إياها حين أبى علي الهدية فلبسها فرأيتها عليه على المنبر فلم أر شيئا أحسن منه يومئذ ،ثم أعطاها أسامة بن زيد فرآها حكيم على أسامة

فقال : يا أسامة أنت تلبس حلة ذي يزن ؟!

فقال : نعم والله لأنا خير من ذي يزن ولأبي خير من أبيه .

قال حكيم : فانطلقت إلى أهل مكة أعجبهم بقول أسامة " رواه الطبراني (١)

۞ موقف ربعي بن عامر و حذيفة بن محصن و المغيرة بن شعبة مع رستم :

أرسل سعد . بن أبي وقاص . إلى المغيرة بن شعبة ..وحذيفة بن محصن وربعي بن عامر ..فقال : إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم ؟ قالوا جميعا : نتبع ما تأمرنا به وننتهي إليه فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس فكلمناهم به.

فقال سعد : هذا فعل الحزمة اذهبوا فتهيؤوا .

فقال ربعي بن عامر : إن الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى نأتهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فمالئوه جميعا على ذلك فقال : فسرحوني فسرحه فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره فاحتبسه الذين على القنطرة ، وأرسل إلى رستم لمجيئه فاستشار عظماء أهل فارس فقال: ما ترون أنُباهي أم نتهاون ؟ فأجمع

(١) رواه الطبراني في الكبير (202/3) ورقمه (3125) .

ملؤهم على التهاون فأظهروا الزبرج وبسطوا البسط والنمارق ولم يتركوا شيئا ، ووضع لرستم سرير الذهب وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب ، وأقبل ربعي يسير على فرس له زبّاء قصيرة ، معه سيف له مشوف ، وغمده لفافة ثوب خلق ، ورمحه معلوب بقِدّ ،معه حَجَفة من جلود البقر ؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونبله فلما غشي الملك ، وانتهى إليه وإلى أدنى البسط ، قيل له : انزل فحملها على البساط ، فلما استوت عليه ، نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما ، ثم أدخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهوه ؛ وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا ، فأراد استحراجهم ، وعليه درع له كأنها أضاة ويَلْمَقُه عباءة بعيره ، قد جابها وتدرعها ، وشدّها على وسطه بسَلَب وقد شدّ رأسه بمعجرته ؛وكان أكثر العرب شعرة، ومعجرته نِسعة بعيره ؛ولرأسه أربع ضفائر ؛قد قمن قياما ،كأنهن قرون الوعلة .

فقالوا : ضع سلاحك .

فقال : إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم ، أنتم دعوتموني ، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت. فأخبروا رستم ؛فقال :ائذنوا له ؛ هل هو إلا رجل واحد ! فأقبل يتوكأ على رمحه ، وزُجّه نصل يقارب الخطو ، ويزج النمارق والبسط ؛ فما ترك لهم نُمرقة ولا بساطا إلا أفسده وتركه منهتكا مخرقا ؛ فلما دنا من رستم تعلق به الحرس ، وجلس على الأرض ، وركز رمحه بالبسط .

فقالوا : ما حملك على هذا ؟

قال : إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه . فكلمه ،

فقال : ما جاء بكم ؟

قال : الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبدا ؛ حتى نفضي إلى موعود الله .

قال : وما موعود الله ؟

قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي .

فقال رستم : قد سمعت مقالتكم ؛فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا !!

قال : نعم ، كم أحب إليكم ؟ أيوما أو يومين ؟

قال : لا ؛ بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا ، وأراد مقاربته ومدافعته .

فقال : إن مما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا ، ألا نمكن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر في أمرك وأمرهم ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، اختر الإسلام وندعك وأرضك ، أو الجزاء ، فنقبل ونكف عنك ، وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجا منعناك ؛ أو المنابذة في اليوم الرابع ؛ ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ؛ أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى.

قال : أسيدهم أنت ؟

قال : لا ؛ ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ؛ يجير أدناهم على أعلاهم .

فخلص رستم برؤساء أهل فارس فقال : ما ترون هل رأيتم كلاما قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل ؟

قالوا : معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب!أما ترى إلى ثيابه !

فقال : ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ؛ ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ؛ إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحساب ، ليسوا مثلكم في اللباس ، ولا يرون فيه ما ترون .

وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ، ويزهدونه فيه .

فقال لهم : هل لكم إلى أن تروني فأريكم ؟

فأخرج سيفه من خرقه كأنه شعلة نار .

فقال القوم اغمده ؛ فغمده ؛ ثم رمى تُرساً ورموا حَجَفته فخرق تُرسهم ،وسلمت حجفته.

فقال : يا أهل فارس ؛ إنكم عظمتم الطعام واللباس والشراب ؛ وإنا صغرناهن .

ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل ، فلما كان من الغد بعثوا : أن ابعث إلينا ذلك الرجل ؛ فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن ، فأقبل في نحو من ذلك الزي ، حتى إذا كان على أدنى البساط، قيل له : انزل ، قال : ذلك لو جئتكم في حاجتي ؛ فقولوا لملككم : أله الحاجة أم لي ؟ فإن قال: لي ؛فقد كذب ؛ورجعت وتركتكم ؛ فإن قال : له ؛لم آتكم إلا على ما أحب .

فقال : دعوه ،فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره .

فقال : انزل ،

قال : لا أفعل ، فلما أبى سأله : ما بالك جئت ولم يجئ صاحبنا بالأمس ؟

قال : إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء ؛ فهذه نوبتي .

قال : ما جاء بكم ؟

قال : إن الله عز وجل منّ علينا بدينه ؛ وأرانا آياته، حتى عرفناه وكنا له منكرين. ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث ؛فأيها أجابوا إليها قبلناها : الإسلام وننصرف عنكم، أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك ،أو المنابذة .

فقال : أو الموادعة إلى يوم ما ؟

فقال : نعم ثلاثا من أمس . فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه ،

فقال : ويحكم ! ألا ترون إلى ما أرى ! جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا ، وحقر ما نعظم ، وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به ؛ فهو في يمن الطائر ، ذهب بأرضنا

وما فيها إليهم ، مع فضل عقله . وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا ؛ فهو في يمن الطائر، يقوم على أرضنا دوننا ؛ حتى أغضبهم وأغضبوه فلما كان من الغد أرسل : ابعثوا إلينا رجلا ، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة ..

فلما جاء المغيرة إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم في إجازته ،ولم يغيروا شيئا من شارتهم ، تقوية لتهاونهم ؛ فأقبل المغيرة بن شعبة ،والقوم في زيهم ؛ عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبسطهم على غَلْوة لا يصل إلى صاحبهم ؛ حتى يمشي عليهم غلوة ، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي ، حتى جلس معه على سريره ووسادته ؛ فوثبوا عليه فترتروه وأنزلوه ومغثوه.

فقال : كانت تبلغنا عنكم الأحلام ؛ ولا أرى قوما أسفه منكم ! إنا معشر العرب سواء ؛ لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه ؛ فظننت أنكم تُواسون قومكم كما نتواسى ؛ وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض ، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ؛ ولم آتكم ؛ ولكن دعوتموني اليوم ؛ علمت أن أمركم مضمحل ؛ وأنكم مغلوبون ؛ وأن مُلكا لا يقوم على هذه السيرة ،ولا على هذه العقول .

فقالت السفلة : صدق والله العربي .

وقالت الدهاقين : والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه ؛ قاتل الله أولينا ، ما كان أحمقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة ! فمازحه رستم ليمحو ما صنع ، وقال له : يا عربي إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك ، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغي من ذلك ؛ فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق ؛ ما هذه المغازل التي معك ؟

قال :ما ضرّ الجمرة ألا تكون طويلة ! ثم راماهم .

وقال : ما بال سيفك رثا !

قال : رث الكسوة ، حديد المضربة .ثم عاطاه سيفه ،

ثم قال له رستم : تكلم أم أتكلم ؟

فقال المغيرة : أنت الذي بعثت إلينا ؛ فتكلم ، فأقام الترجمان بينهما ، وتكلم رستم ، فحمد قومه، وعظم أمرهم وطوله ، وقال :لم نزل متمكنين في البلاد ،ظاهرين على الأعداء ، أشرافا في الأمم؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا ،نُنصر على الناس ولا ينصرون علينا إلا اليوم واليومين ،أو الشهر والشهرين ؛ للذنوب ؛ فإذا انتقم الله فرضي رد إلينا عزنا ،وجمعنا لعدونا شر يوم هو آت عليهم .ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمرا منكم ؛ كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة ،لا نراكم شيئا ولا نعدكم ، وكنتم إذا قحطت أرضكم ،وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم نردكم ، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم ،وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين ،وتنصرفون عنا ، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم .

فتكلم المغيرة بن شعبة ،فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن الله خالق كل شيء ورازقه ؛فمن صنع شيئا فإنما هو الذي يصنعه هو له .وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك ؛ من الظهور على ا لأعداء والتمكن في البلاد وعظم السلطان في الدنيا ؛فنحن نعرفه ،ولسنا ننكره ؛فالله صنعه بكم؛ ووضعه فيكم ؛وهو له دونكم ؛وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال ،وضيق المعيشة واختلاف القلوب ؛ فنحن نعرفه ؛ولسنا ننكره ؛والله ابتلانا بذلك ،وصيرنا إليه ،والدنيا دول ؛ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه ؛ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ؛ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر ،كان شكركم يقصر عما أوتيتم ،وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ؛ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر ؛كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبا من الله رحمة يرفه بها عنا ،ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ؛أو كنتم تعرفوننا به ؛إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا... ثم ذكر مثل الكلام الأول ؛ حتى انتهى إلى قوله : وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبدا تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر

،وإلا فالسيف إن أبيت !! فنخر نخرة واستشاط غضبا ، ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصبح غدا حتى أقتلكم أجمعين .فانصرف المغيرة . (١)

۞ قصة الغلام المؤمن :

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ هَمَسَ وَالْهَمْسُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ تَحَرُّكُ شَفَتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا صَلَّيْتَ الْعَصْرَ هَمَسْتَ قَالَ إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أُعْجِبَ بِأُمَّتِهِ فَقَالَ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيِّرْهُمْ بَيْنَ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُمْ وَبَيْنَ أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَاخْتَارُوا النِّقْمَةَ فَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا قَالَ وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْآخَرِ قَالَ كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَكَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ كَاهِنٌ يَكْهَنُ لَهُ فَقَالَ الْكَاهِنُ انْظُرُوا لِي غُلَامًا فَهِمًا أَوْ قَالَ فَطِنًا لَقِنًا فَأُعَلِّمَهُ عِلْمِي هَذَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا الْعِلْمُ وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ قَالَ فَنَظَرُوا لَهُ عَلَى مَا وَصَفَ فَأَمَرُوهُ أَنْ يَحْضُرَ ذَلِكَ الْكَاهِنَ وَأَنْ يَخْتَلِفَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَةٍ قَالَ مَعْمَرٌ أَحْسِبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمَئِذٍ مُسْلِمِينَ قَالَ فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ فَقَالَ إِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ قَالَ فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَمْكُثُ عِنْدَ الرَّاهِبِ وَيُبْطِئُ عَنِ الْكَاهِنِ فَأَرْسَلَ الْكَاهِنُ إِلَى أَهْلِ الْغُلَامِ إِنَّهُ لَا يَكَادُ يَحْضُرُنِي فَأَخْبَرَ الْغُلَامُ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ إِذَا قَالَ لَكَ الْكَاهِنُ أَيْنَ كُنْتَ فَقُلْ عِنْدَ أَهْلِي وَإِذَا قَالَ لَكَ أَهْلُكَ أَيْنَ كُنْتَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّكَ كُنْتَ عِنْدَ الْكَاهِنِ قَالَ فَبَيْنَمَا الْغُلَامُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٍ قَدْ حَبَسَتْهُمْ دَابَّةٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ كَانَتْ أَسَدًا قَالَ فَأَخَذَ الْغُلَامُ حَجَرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ الرَّاهِبُ حَقًّا فَأَسْأَلُكَ أَنْ أَقْتُلَهَا قَالَ ثُمَّ رَمَى فَقَتَلَ الدَّابَّةَ فَقَالَ النَّاسُ مَنْ قَتَلَهَا قَالُوا الْغُلَامُ فَفَزِعَ النَّاسُ وَقَالُوا لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ قَالَ فَسَمِعَ بِهِ أَعْمَى فَقَالَ لَهُ إِنْ أَنْتَ رَدَدْتَ بَصَرِي فَلَكَ كَذَا وَكَذَا قَالَ لَهُ لَا أُرِيدُ مِنْكَ هَذَا وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ إِنْ رَجَعَ إِلَيْكَ بَصَرُكَ أَتُؤْمِنُ بِالَّذِي رَدَّهُ

(١) تاريخ الطبري (2/401-404) .

عَلَيْكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَدَعَا اللَّهَ فَرَدَّ عَلَيْهِ بَصَرَهُ فَآمَنَ الْأَعْمَى فَبَلَغَ الْمَلِكَ أَمْرُهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ فَأُتِيَ بِهِمْ فَقَالَ لَأَقْتُلَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قِتْلَةً لَا أَقْتُلُ بِهَا صَاحِبَهُ فَأَمَرَ بِالرَّاهِبِ وَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ أَعْمَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى مَفْرِقِ أَحَدِهِمَا فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ الْآخَرَ بِقِتْلَةٍ أُخْرَى ثُمَّ أَمَرَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَأَلْقُوهُ مِنْ رَأْسِهِ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي أَرَادُوا أَنْ يُلْقُوهُ مِنْهُ جَعَلُوا يَتَهَافَتُونَ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَيَتَرَدَّوْنَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْغُلَامُ قَالَ ثُمَّ رَجَعَ فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يَنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْبَحْرِ فَيُلْقُونَهُ فِيهِ فَانْطُلِقَ بِهِ إِلَى الْبَحْرِ فَغَرَّقَ اللَّهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَأَنْجَاهُ فَقَالَ الْغُلَامُ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَا تَقْتُلُنِي حَتَّى تَصْلُبَنِي وَتَرْمِيَنِي وَتَقُولَ إِذَا رَمَيْتَنِي بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ هَذَا الْغُلَامِ قَالَ فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ ثُمَّ رَمَاهُ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ هَذَا الْغُلَامِ قَالَ فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ حِينَ رُمِيَ ثُمَّ مَاتَ فَقَالَ أُنَاسٌ لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ فَإِنَّا نُؤْمِنُ بِرَبِّ هَذَا الْغُلَامِ قَالَ فَقِيلَ لِلْمَلِكِ أَجَزِعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلَاثَةٌ فَهَذَا الْعَالَمُ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ قَالَ فَخَدَّ أُخْدُودًا ثُمَّ أَلْقَى فِيهَا الْحَطَبَ وَالنَّارَ ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ تَرَكْنَاهُ وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ أَلْقَيْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي تِلْكَ الْأُخْدُودِ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ قَالَ فَأَمَّا الْغُلَامُ فَإِنَّهُ دُفِنَ فَيُذْكَرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَأُصْبُعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ . رواه الترمذي وقَالَ :هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

۞ موقف عبدالله بن حذافة السهمي :

عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي أبو حذافة أو أبو حذيفة ..من مناقب عبد الله بن حذافة ما أخرجه البيهقي من طريق ضرار بن عمرو عن أبي رافع قال وجه عمر جيشا إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة فأسروه

فقال له ملك الروم : تنصر أشركك في ملكي .

فأبى .

فأمر به فصلب وأمر برميه بالسهام .

فلم يجزع فأنزل .

وأمر بقدر فصب فيها الماء وأغلى عليه وأمر بإلقاء أسير فيها فإذا عظامه تلوح فأمر بإلقائه إن لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى !

قال : ردوه .

فقال: لم بكيت ؟

قال : تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله !!

فعجب . فقال : قبل رأسي وأنا أخلي عنك .

فقال : وعن جميع أسارى المسلمين .

قال : نعم .

فقبل رأسه فخلى بينهم .

فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبل رأسه . (١)

۞ موقف حماد بن سلمة مع محمد بن سليمان :

قال مقاتل بن صالح الخراساني : دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينما أنا عنده جالس إذا دق داق الباب.

فقال: يا صبية اخرجي فانظري من هذا .

فقالت :رسول محمد بن سليمان .

قال : قولي له يدخل وحده .

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (57/4) ورقمه (4625) . وأخرج بن عساكر لهذه القصة شاهدا من حديث بن عباس موصولا وآخر من فوائد هشام بن عثمان من مرسل الزهري

فدخل فناوله كتابا فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد ابن سلمة أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها والسلام .

قال : يا صبية هلمي الدواة ثم قال لي اقلب الكتاب واكتب : أما بعد وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدا فإن كانت وقعت مسألة فأتنا واسألنا عما بدا لك وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام .

فبينا أنا عنده دق داق الباب فقال : يا صبية أخرجي فانظري من هذا ؟

فقالت : محمد بن سليمان .

قال : قولي له ليدخل وحده .

فدخل فسلم ثم جلس بين يديه .

فقال : مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعبا ؟

فقال حماد : سمعت ثابتا البناني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء ، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء" (١)

فقال: أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه .

قال : قال اردده على من ظلمته بها ،

قال :والله ما أعطيتك إلا ما ورثته .

قال : لا حاجه لي فيها إزوها عنى زوى الله عنك أوزارك.

قال : فتقسمها .

---

(١) قال الشوكاني في الفوائد المجموعة ص 256 : (قال في المختصر : معضل . ولأبي الشيخ بلفظ : " من خاف الله ، خاف منه كل شيء ،ومن لم يخف الله خوّفه الله من كل شيء " وهو منكر .

قال : فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها لم يعدل ازوها عنى زوى الله عنك أوزارك .(١) .

۞ موقف سعيد المسيب مع عبد الملك بن مروان :

عن ميمون بن مهران ، قال : قدم عبد الملك بن مروان المدينة ، فامتنعت من القائلة ، واستيقظ ، فقال لحاجبه : انظر ، هل في المسجد أحد من حُدَّاثنا ، فخرج فإذا سعيد بن المسيب في حلقته ، فقام حيث ينظر إليه ، ثم غمزه وأشار بإصبعه ، ثم ولى ، فلم يتحرك سعيد ، فقال : لا أراه فطن ، فجاء ودنا منه ، ثم غمزه وقال : ألم ترني أشير إليك ؟

قال : وما حاجتك ؟

قال : أجب أمير المؤمنين ،

فقال : إلي أرسلك ؟

قال : لا ، ولكن قال : انظر بعض حداثنا ، فلم أر أحدا أهيأ منك ،

قال : اذهب فأعلمه أني لست من حداثه ، فخرج الحاجب وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ إلا مجنونا ، وذهب فأخبر عبد الملك ، فقال : ذاك سعيد بن المسيب ، فدعه (٢).

فلله دره من إمام في عزة نفسه ، وصدعه بالحق .

۞ موقف مالك بن أنس مع هارون الرشيد :

قال مالك بن أنس : وجَّه إليّ هارون الرشيد ، فسألني أن أحدثه .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن العلم يُؤتى ولا يأتي ، فصار إلى منزلي !! فاستند معي في الجدار .

---

(١) صفوة الصفوة (858/2-859) .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (30/5) .

فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم .

قال : فقام فجلس بين يديّ !!

فقال لي بعد مدةٍ : يا أبا عبدالله ، تواضعنا لعلمك فانتفعنا به ، وتواضع لنا علم سفيان ابن عيينة فلم ننتفع به ، وكان سفيان يأتيهم إلى بيوتهم فيأخذ دراهم .(١)

۞ موقف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب مع المهدي :

قال أبو العيناء : لما حج المهدي دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبي ذئب .

فقال له المسيب بن زهير : قم هذا أمير المؤمنين .

فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين !!

فقال المهدي :دعه فلقد قامت كل شعرة في رأسي(٢) .

۞ موقف طاووس مع هشام بن عبدالملك :

قدم هشام بن عبد الملك حاجا إلى مكة ، فلما دخلها قال : ائتوني برجل من الصحابة . فقيل : يا أمير المؤمنين ، قد تفانوا .

قال : فمن التابعين ، فأتوه بطاووس اليماني .

فلما دخل عليه ، خلع نعليه بحاشية بساطه ، ولم يسلم بإمرة أمير المؤمنين ، ولكن قال : السلام عليك ، ولم يُكنّه ، ولكن جلس بإزائه .

قال :كيف أنت يا هشام ؟

فغضب هشام غضبا شديدا ، حتى همّ بقتله .

---

(١) المصباح المضيء ، لابن الجوزي . نقلا : صلاح الأمة في علو الهمة (3/133-134) .
(٢) سير أعلام النبلاء (7/143) .

فقيل له : أنت في حرم الله ورسوله ، فلا يمكن ذلك .

فقيل له : يا طاووس ، ما الذي حملك على ما صنعت ؟

قال : وما الذي صنعت ؟!

فازداد هشام غضبا ، وقال : لقد خلعت نعليك بحاشية بساطي ، ولم تقبل يدي ، ولم تسلم بإمرة أمير المؤمنين ، ولم تُكنني ، وجلست بإزائي بغير إذني .وقلت : كيف أنت يا هشام !!

فقال : أما ما خلعت نعليّ بحاشية بساطك ، فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ، فلا يعاتبني ولا يغضب عليّ .

وأما قولك : لم تقبل يدي ؛ فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يقول : " لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد ، إلا امرأته من شهوة أو ولده برحمة " .

وأما قولك : لم تسلم بإمرة أمير المؤمنين ؛ فليس كل الناس راضين بإمرتك ، فكرهت أن أكذب .

وأما قولك : جلست بإزائي ؛ فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار ، فانظر إلى رجل جالس وحوله ناس قيام .

وأما قولك ، لم تُكنني ، فإن الله عز وجل سمى أولياء هـ ، وقال يا داود ، يا يحيى ، يا عيسى ، وكنى أعداءه فقال : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ .

فقال هشام : عظني .

فقال : سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول : إن في جهنم حيّات كأمثال القِلال ، وعقارب كالبغال ، تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته "

ثم قام وذهب .(١)

---

(١) مواعظ ومواقف للعلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين ص 62 نقلا : من صلاح الأمة في علو الهمة (152/3–152)

۞ موقف سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب مع هشام بن عبد الملك :

قال ابن عيينة دخل هشام الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله ؛

فقال : سلني حاجة .

قال : إني استحيي من الله أن أسأل في بيته غيره .

فلما خرجا ؛ قال : الآن فسلني حاجة .

فقال له سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟

فقال من حوائج الدنيا .

قال : والله ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها!! (١) .

۞ موقف الإمام البخاري مع أمير بخارى :

بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي ـ والي بخارى ـ إلى محمد بن إسماعيل أن أحمل إليّ كتاب الجامع والتاريخ ؛ لأسمع منك .

فقال البخاري لرسوله : قل له : إني لا أُذل العلم ، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضرني في مسجدي أو في داري ، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان ، فامنعني من المجلس ؛ ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة : أني لا أكتم العلم ؛ فكانت سبب الوحشة بينهما (٢) .

۞ موقف الشيخ عبد الحميد الجزائري والمندوب السامي :

استدعى المندوب السامي الفرنسي ـ في سورية ـ الشيخ عبد الحميد الجزائري ، وقال له : إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنودا لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا ، وإخماد أصواتك المنكرة .

فأجاب الشيخ عبد الحميد : أيها الحاكم ، إنك لا تستطيع ذلك ؟!

---

(١) السير (466/4) .

(٢) مقدمة فتح الباري . نقلا من صلاح الأمة (201/3) .

واستشاط الحاكم غضبا ، وقال : كيف لا أستطيع ؟

قال الشيخ : إذا كنت في عرس علمت المحتفلين ، وإذا كنت في مأتم وعظت المعزين ، وإن جلست في قطار علمت المسافرين ، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين ،وإن قتلتموني ألهبت مشاعر المواطنين ، وخير لك أيها الحاكم ألا تتعرض للأمة في دينها ولغتها .(١)

۞ موقف الشيخ حسن العدوي أمام السلطان العثماني :

عندما زار السلطان العثماني عبد العزيز مصر في عهد إسماعيل باشا كان إسماعيل حفيا بالزيارة ؛ لأنها كانت جزءا من برنامجه للحصول على لقب خديوي ، مع عدة امتيازات في نظام الحكم بمصر . وكان من برنامج الزيارة أن يستقبل الخليفة العلماء في السَّراي ، ولكن كانت للمقابلة السنية تقاليد ، منها أن ينحني الداخل إلى الأرض ، وغير ذلك من التقاليد السخيفة المنافية لروح الإسلام ، فقد كان حتما على رجال السراي أن يدربوا العلماء على طريقة المقابلة عدة أيام ؛ كي لا يخطئوا في حضرة السلطان . وعندما حان الموعد ، دخل السادة العلماء الأجلاء فنسوا دينهم واشتروا به دنياهم ، وانحنوا أمام مخلوق مثلهم تلك الانحناءات ، وخرجوا موجهين وجوههم إلى الخليفة ، كما أمرهم رجال التشريفات ، إلا عالما واحدا هو الشيخ حسن العدوي ، ذكر دينه ونسي دنياه ، واستحضر في قلبه أن لا عزة إلا لله ، ودخل مرفوع الرأس كما ينبغي أن يدخل الرجال الأحرار ، وواجه الخليفة بتحية الإسلام : السلام عليكم يا أمير المؤمنين . وابتدره بالنصيحة التي ينبغي أن يتلقى بها العالم الحاكم ، دعاه إلى تقوى الله ، والخوف من عذابه ، والعدل والرحمة بين رعاياه ، فلما انتهى سلم ، وخرج مرفوع الرأس وأسقط في يد الخديوي ورجال السراي ، وظنوا أن الأمر كله قد انقلب عليهم ، وأن السلطان لابد غاضب ، فضائعة تلك الجهود التي بذلوا ، والآمال التي نسجوا ، ولكن كلمة الحق المؤمنة لا تذهب سدى ، فلا بد أن تصدع القلوب

(١) أقباس روحانية . نقلا من صلاح الأمة (3/277-278) بتصرف .

قوية حارة ، كما نبعت من مكمنها قوية حارة ، وهكذا كان ، فقال السلطان : ليس عندكم إلا هذا العالم . وخلع عليه دون سواه .(١)

۞ موقف أحد علماء الأزهر والسلطان عبد العزيز :

لما قدم السلطان عبد العزيز مصر زار الجامع الأزهر وصحبه الخديوي إسماعيل ، فلحظ الخديوي على شيخ بالجامع كأنه غير مهتم ، فهو مسند ظهره ، مادٌّ رجله ، فأسرع بالسلطان عنه ، ثم كلف أحد رجاله - وقد أراه الشيخ - أن يذهب له بصرة ، يريد أن يعرف حاله ، فلما جاء الرسول ليعطيه قبض الشيخ عنه يده ، وقال له : قل لمن أرسلك ؛ إن من يمد رجله لا يمد يده .(٢)

۞ موقف الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مع خورشيد :

جيء بالشيخ المجاهد سعيد النورسي ليمثل أمام خورشيد باشا ، فسأله خورشيد وهو ينظر إلى الأجساد التي تتأرجح في الهواء : وهل أنت أيضا تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية يا شيخ سعيد ؟

فأجابه - وهو ينظر إلى أجساد إخوانه الذين أكرمهم الله بالشهادة - : اعلم يا خورشيد أنه لو كان لي ألف روح ، لما ترددت أن أجعلها كلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام ، واسمع مني جيدا يا خورشيد ، إنني لا أخشى حكمكم بإعدامي ، فقد هيأت نفسي بشوق عظيم للذهاب إلى الآخرة ، لألحق بإخواني الذين سبقوني إلى أعواد المشانق لينالوا الشهادة في سبيل الله .

(١) مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام ..نقلا من صلاح الأمة (3/281-282) .
(٢) نقلا من صلاح الأمة (3/

واكتفى الطغاة بسجنه ، ومضى ـ رحمه الله ـ في قيادة مسيرة الحركة الإسلامية الممتحنة في تلك الأيام العصيبة . (١)

هذا ما تيسر جمعه من مواقف أهل الإيمان في طريق العزة والكرامة نسأل الله تعالى أن يمن علينا بأفضاله ، وأن يعزنا بطاعته إنه جواد كريم وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) مواقف بطولة من صنع الإسلام ص 49-56 نقلا من : صلاح الأمة (495/3-496) .